محمد خاتمي في مكتبة الإسكندرية

الأمة تعاني من اضطرابات والأعداء متربصون

محمد الحمامصي
الاسكندرية

تواصل مكتبة الإسكندرية دورها التنويري والحضاري داعمة الحوار حول مختلف القضايا العربية والإقليمية والدولية، اسهاماً في مد جسور التواصل والترابط بين مختلف الرؤى والأفكار، ومساندة الحوار العاقل البناء من اجل حضور قوي وفاعل للحضارة العربية والإسلامية علي الساحة الدولية، وفي ضوء هذا ضيفت مؤخراً السيد محمد خاتمي رئيس الجمهورية الإيرانية الأسبق، الذي قام بزيارة مكتبة الإسكندرية في جولة تفقدية لأهم مراكزها وأقسامها، وفي أعقابها قام بإلقاء محاضرة حول "حوار الحضارات" حضرها لفيف من رجال السياسة ووزارة الخارجية المصرية وكبار رجال الجمهورية الإيرانية، وقد أدار اللقاء الدكتور يوسف زيدان مدير مركز ومتحف المخطوطات بمكتبة الإسكندرية وأستاذ الفلسفة، وفي حضور الدكتور إسماعيل سراج الدين مدير مكتبة الإسكندرية، الذي ألقي كلمة افتتاحية رحب فيها بحجة الإسلام والمسلمين معربا عن سعادته واعتزازه بوجود أهم المفكرين علي الساحة الدولية المنشغلين بقضايا الأمة، وفي ميدان السياسية كان من العلامات المميزة، مشيرا إلي أن هذا اللقاء الفكري يعد إضافة تعتز بها مكتبة الإسكندرية .ثم تلت كلمة الدكتور سراج الدين، كلمة السيد محمد خاتمي والتي جاءت كالآتي: إن امة يمثل الكتاب معجزة دينها، ويبدأ كتابها السماوي بكلمة (أقرا") ويصف ربها نفسه بالإكرام عندما يتحدث عن إعطاء فضيلة العلم والكتابة للإنسان: (أقرا وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم) بينما يتحلى بصفة الكريم عند الحديث عن خلقه قائلا :(ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك وعدلك) إن هذه الأمة لابد من أن يكون للكتاب والعلم والتعقل عندها منزلة لا مثيل لها. لكنه و للأسف ينبغي القول أن مجموعة الدول الإسلامية تصنف اليوم ضمن التقسيمات العالمية في عداد الدول النامية.

وفى هذا المجال والمقام لا أريد أن أناقش مفهوم التنمية في أطار رؤية فلسفية فذلك يتطلب بحثاً مترامي الأطراف، لكنني أقول باختصار ان الدول الإسلامية لا تعيش في ظروف مناسبة في مجالات العلم والأبحاث العلمية وإفرازها الرئيسي في عالمنا المعاصر اي التكنولوجيا.

الاسلام والفكر

والفكر والعقل عندنا يعانيان من اضطرابات كما وان داءنا الآخر يكمن في سوء التفاهم الناتج عن عدم التفكير أو اضطرابنا الفكري. والأسوأ من كل ذلك إن هناك من يسعى للتعويض عن انعدام الفكر وما يفرز من تخلف عبر التشبه بالغرب، ويحاول البعض الآخر أن يخفي كل ذلك وراء ظواهر الدين معرضا عن باطنه الذي يؤكد كل التأكيد على استخدام العقل والفكر مسيئا بتقديسه الظواهر للدين وللمتدينين.

والسؤال هو: لماذا أصيب العالم الاسلامى بهذا الوضع وهو الذي أبدع في وقت مضى إحدى ابرز الحضارات الإنسانية؟ واليوم اذتم التعرف على الداء، لماذا لا يفكر بالدواء ولا يستخدم طاقاته المادية والمعنوية الهائلة لمكافحة هذا التخلف والوصول إلى مكانته المرموقة، بل لماذا أصابه التمزق مبدلا بذلك الخلافات الجزئية الطبيعية في إطار الحضارة الواحدة إلى عامل للنقار والنزاع بدل استخدامها لتفعيل التفكير والعقل والحياة وتحقيق التقدم والازدهار؟

إننى أرى في هذه المسيرة أصابع أعداء يضمرون الضغائن للإسلام ولا يتحملون أن يحقق المسلمون مجدهم وعزتهم.وليس من الصعب الإجابة على هذه التساؤلات، فذلك من أهم الضرورات في هذا الزمن. لكنه لا مجال لي أن أتطرق إلى ذلك وقد أشرت إليه باختصار في وقت آخر.

الاسكندرية ملتقى الحضارات

وتطرق خاتمي في محاضرته إلي مكانة الإسكندرية الرفيعة في تاريخ الفكر والثقافة والحضارة البشرية وخاصة في الحضارة الإسلامية حيث قال: كما تعلمون، فاننى قدمت أطروحة الحوار بين الثقافات والحضارات التي لقيت أجماعا دوليا. واليوم أقول: أن الإسكندرية ملتقى الحضارات الشرقية والغربية وتمثل طيفا ممتعا من ألوان الثقافات اليونانية والإيرانية والمصرية والعربية التي تتلالا في سماء الحضارة الإسلامية الزاخرة.

فالحضارة التي أفرزتها الإسكندرية حضارة تركيبية. وعندما انطفأت شعلة العلم بعد سقوط المدنية- الدولة في اليونان، فتحت الإسكندرية أحضانها لتستقبل الفلسفة اليونانية دون أن تسد الطريق أمام إشعاعات سائر الحضارات والثقافات وأجزائها.

وما برز في الإسكندرية في مجال الرياضيات وعلم الفلك لم يكن مجرد ارث تركته الحضارة اليونانية القديمة، إنما لعب تراث الحضارتين البابلية والعيلامية الذي انتقل بعد فتوحات الاسكندر إلى اليونان، دورا مهماً في تكوينه.

وفى عصر ازدهار مدرسة الإسكندرية منذ القرن الثالث قبل الميلاد حتى ظهور الإسلام برزت مدارس فلسفية مهمة. ويكفى النظر في أسماء الفلاسفة والمفكرين الكبار في هذا العصر والمفسرين لآراء أرسطو وأفلاطون والتدقيق في جذورهم القومية ليعرف الإنسان مدى مساهمة المفكرين من الشعوب والقوميات المختلفة في إعادة قراءة فلسفة أرسطو وأفلاطون ونشرها.

ورغم أن يوحنا الدمشقي ويوحنا النحوى وبولس الفارسي يصنفون ضمن الفلاسفة اليونانيين، لكنهم لم يكونوا من أصول يونانية وكانوا ينتمون إلى إيران والشام ومصر والدولة البيزنطية.

وفى هذه الفترة تحقق أول حوار حقيقي بين الفكر اليوناني والأديان التوحيدية والذي مهد فيما بعد واثر التحاق الفكر الاسلامى إلى دائرته مسجلا حوارا متعدد الأطراف مهد لتأسيس ماعرف بالفلسفة الإسلامية. والنشاط العلمي في المراكز العلمية والفلسفية العريقة التي كانت جميعها ترتبط بالإسكندرية لم يكن دائما على نمط معين ووتيرة واحدة. ولكن لا يشك اى باحث في أن حركة أحياء العلم والفلسفة انطلقت من تلك المنطقة الجغرافية التي كانت تعد مهد الحضارات الإيرانية والسكندرية والبيزنطية، وذلك في أواسط القرن الهجري الثاني من العصر الإسلامي.وكان للعلم والفلسفة في هذا العصر ميزة تركيبة، اذ لم يكن الفضل في ذلك يعود للحضارة السكندرية لوحدها رغم أن إرثها الحضاري كانت له حصة الأسد في نشأتهما.

وعلماء الرياضيات في هذه الفترة كانوا يعتبرون اقليدس وابولوينوس وبايوس من زملائهم، كما كان لفلاسفة هنا العصر من الكندي الى الفارابي وابن سينا والعامري وابي علي مسكوية آراء مشتركة مع ارسطو وافلاطون واسكندر الافروديسي.

فالإسكندرية ملتقى الشرق والغرب، والخط الفكري الذي يوصل اثينا بباريس وايطاليا في عصر النهضة، يمر عبر الإسكندرية وبغداد وري نيشابور والقاهرة وقرطبة. وإلا لكانت هذه السلسلة تنقطع لولا هذه المراكز. والغرب اليوم لا يمكن اعتباره حصيلة الحضارة اليونانية لا غيرها،كما أن الحضارة التي تسمى الحضارة الشرقية او الإسلامية لم يكن بامكانها الحصول على هويتها ومكانتها التاريخية ان لم تكن تتمتع بتأثير الحضارة اليونانية.

ويسرني أن أرى الجهود تبذل اليوم لتكون مكتبة الإسكندرية بمالها من أمجاد موقعا لنشر المعارف وإجراء البحوث وإيصال المعلومات للمصريين وجميع المسلمين وللعالم أجمع باعتمادها علي تاريخها الناصع.

الكتاب.. والمجتمعات

وجاء الجزء الثاني من محاضرة خاتمي تأملات حول الكتاب ودوره في تطور المجتمعات ومكانته الفريدة في مجال الفكر والثقافة حيث قال: إن الكتاب هو ابرز معالم الثقافة والحضارة .واما قصة الكتاب فهي قصة ممتعة ينبغي البحث عن فصولها المختلفة هنا وهناك.وفي نفس الوقت،إن ما تتناقله الكتب عن "قصة الكتاب" ليس ممتعا جميلا كله،فكم من حوادث مرة ومؤلمة شهدها الكتاب، وكم هي المعاناة التي تحملها الكتاب في سبيل أسفارهم.

إن ما تبقى منذ العصور الاولى من ورق البابيروس هاربا من قبضة الزمن ليكون اليوم في متناول ايدينا، وما يروى عن المكتبات التي كانت تحوي مئات الآلاف من الكتب في القرون البالية، كل ذلك يعبر عن منافذ تعرفنا على حقيقة ما جرى في هذا البستان الزاهر للأدب والثقافة والعلوم والمعارف البشرية.

وكم يروي التاريخ لنا قصصا مثيرة حول احداث طريفة تدل علي ألاعيب الدهر وما فيها من دروس وعبر. فهذا ابن سينا يعرض عليه في سوق الوراقين كتاب شرح ما بعد الطبيعة للفارابي، وهو الذي قرأ مرات كتاب ما بعد الطبيعة لارسطو وبقيت بعض مفاهيمه غامضة عنده، حتى ان توصل الى حقائق فكر ارسطو بعد قراءة شرح الفارابي هذا الذي حصل عليه صدفة في سوق الوراقين.وهذا الحدث يدل علي ان الكتاب يجذب قارئه، أذ يبدو أن الامر غالبا ما يكون هكذا، فالمرء يتصور انه يختار من الكتب ما يريد منها والحقيقة انه لو أمعن النظر لرأى أن الكتاب يختار قارئه وليس العكس. فالكثير من الكتب تبقى في ثنايا السر والكتمان رغم محسناتها وتظل مستورة رغم انتشارها.

فالكتاب كلما ارتقي فوق الزمان والمكان، يزداد الأمر صعوبة على الطالبين. وكم هي إعداد أولئك الذين غرقوا في الكتاب لكن أرواحهم بقيت معلقة بين أل"نعم"وال"لا". وربما يذكركم هذا التعبير بلقاء تم بين ابن عربي وابن رشد والذي يرويه ابن عربي.

بان أباه أرسله يوما إلى ابن رشد في بيته فلما دخل عليه رأى الكتب حوله ولم يره هو. ولما رآه ابن رشد، اصفر وجهه وتوجه إلى ابن عربي- وهو في عنفوان شبابه__ سائلا: نعم ؟ فأجابه ابن عربي قائلا: نعم -أولا -ثم لا ويضيف ابن عربي إن ابن رشد توفي بعد أيام فحملت جنازته علي طرف من الدابة وكتبه على الطرف الآخر فأنشد ابن عربي قائلا:

هذا الإمام وهذه آثاره
ياليت شعري هل أتت آماله

والإنسان ربما لا ينال جميع آماله بعلمه وبحثه لكن جميع العلوم الطبيعية وجزء من العلوم الإنسانية والأخلاقية والروحية يمكن تعلمها عبر الكتاب والدروس.

والمجتمع الذي يهتم بالكتاب والفن والثقافة، له معالمه وآثاره. ومنها توفير الأمن لأهل العلم والمعرفة واحترام حرية أصحاب القلم والفن. وتوفير الحرية والأمان أمر ضروري وواجب للمجتمع بأسره لكنه اوجب الأمور وأكثرها ضرورة لأهل العلم والفكر والفن. لأنه من دون الأمن والحرية لن يتم الإبداع في الفن ولا في الفكر و المعرفة . فقضية الأمن والحرية لمن له يد في عالم الإبداع الأدبي والفني والفلسفي، انما هي قضية الحياة او الموت. وربما في هذه الإشارة العابرة إجابة مجملة على سؤال يطرح نفسه وهو: لماذا لم تحقق مجتمعاتنا الازدهار المطلوب بل أصابها التخلف والجمود، فالإنس بالكتاب، انس يضاهي الصمت والتفكر في الخلوات الإنسانية وإنني آمل أن يكون الحظ حليفنا لنتذوق لذة هذا الإنس.

اسئلة ونقاشات

عقبها انهالت أسئلة الحضور علي السيد محمد خاتمي، وكان السؤال الأول منها عن معوقات التقارب المصري الإيراني ؟ حيث قال خاتمي: إيران ومصر جناحان وساعدان قويان،لا يطير العالم الإسلامي الا بهما،سواء فيما يخص الحضارة الاسلامية وتشكلها بدون مصر وايران لايبقي الكثير، ليس فقط عبر العصور الماضية بل أيضا في سبيل المستقبل، وأنا أجل واحترم الأمة الإسلامية بكل أجزائها،ولكن يعتقد أنه اذا كان ما هناك أمتان كفء لبعضهما البعض فهما مصر وايران .

في أثناء رئاستي حاولت كثيرا وبذلت جهودا كبيرة لرفع الكثير من المعوقات خاصة المعوقات السياسية لعودة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، للأسف لم أنجح في مجال السياسة إلا أنني لا أزال غير يائس وفي السنوات الأخيرة زادت العلاقات الإنسانية والاقتصادية والتكنولوجية والفنية، بين البلدين والذين لا يريدون عودة العلاقات بين مصر وإيران، ولا يريدون الخير لهما .عندما تقابلت مع الرئيس مبارك في جنيف وصباح اليوم، أكدنا على الرغبة في تحقيق علاقات أفضل،وكلي أمل في أن ننجح في شحذ الهمم،لتحقيق هذه الرغبة .

وقد طرح الدكتور جابر عصفور تساؤلا من جزأين الأول كيف تتم في إيران مواجهة الأصولية الدينية وهل يمكن الاستفادة من طرق المواجهة في مصر ؟ والثاني هل تغيرت أفكارك عن حوار الحضارات مع التغيرات الكبرى التي حدثت علي الساحة مؤخرا ؟

وأجاب خاتمي: أعتقد أن الدين له وجهان الأول: هو حقيقة الدين العابر للزمان والمكان والتاريخ، والدين كما تحقق في لحظة تاريخية محددة،الدين الذي نزل بعيدا عن الخوف في علاقة الإنسان بربه والوحي، نستطيع أن نقول أن الدين الذي تأسس في تلك اللحظة التاريخية هو الدين الذي أعطي إجابة واضحة عن أسئلة هذه اللحظة التاريخية،للأسف ما نعانيه في هذا السياق هو أن الزمان واللحظة التاريخية والمكان والاحتياجات اختلفوا اختلافا جذريا في العصر الحديث،ولا يزال البعض متمسك بأجوبة تنتمي لعصر تاريخي معين، ولا يريد التحرك لما يواكب العصور المتجددة،ولا يريد التحرر من اللحظة التاريخية،مما يؤدي إلي هذه المشكلة، فإذا كان الجمود هو الأصولية، فان الله تعالي وجه انتقادات لاذعة لمثل هذه الأصولية .

أما اذا كانت الأصولية هي الوفاء للقيم الأساسية للدين وهو ما تحقق عبر الوحي الرباني ستكون هذه الأصولية مطلوبة، اما إذا اعتقدنا أن الدين خالد- وهو كذلك -فعلينا تقبل أنه له القدرة علي الإجابة على كل الأسئلة في كل العصور وعلى العلماء والفقهاء العمل على بلورة أو استنتاج الأجوبة الصحيحة للأسئلة الملحة،اعتقد مع المشكلات المعاصرة التي أصبحت تجتاح الحداثة فالرؤية والقراءة وطريقة التوجه نحو الأصول والقيم الدينية تزداد نموا بين الشباب وأصحاب الرأي .

واعتقد بصراحة أن علينا أن نقرأ الدين قراءة عصرية تعطينا إجابات واضحة ووافية لأسئلة عصرنا الراهن .

حوار الحضارات

أما بخصوص التطورات وأثرها على آراء خاتمي بخصوص حوار الحضارات والثقافات، قال " أن التطورات قدمت أرضية جديدة اضافية لضرورة اقامة مثل هذا الحوار، وكما تعرفون لقد اعتبرت الامم المتحدة عام ٢٠٠١ عاما لحوار الحضارات بناءا على اقتراحي، وجاءت أحداث ١١ سبتمبر في نفس العام، وعلى أثر تلك الاحداث فالمتشددون في الغرب عسكروا العلاقات الدولية بحجة مكافحة الارهاب .

أنا أعتقد أن الأثمان الباهظة و الأكلاف التي قدمتها البشرية في مجال الحروب الاستباقية أو العنف الذي اجتاح العالم يجعل البشرية عطشى أكثر الى حوار الحضارات.

أعتقد أن جميع أركان العالم متفقة أن عدم الاستقرار هو أكبر مشكلاتنا،ولقد أصبح الأمن عالميا، اما للجميع واما لا . اليوم ليس فقط الشعب الفلسطيني هو الذي يتعرض لعدم الاستقرار وعدم الأمن، وإنما الإنسان في كل مكان، لا يشعر بالأمان،ان الانسان أدرك أنه اما الامن للجميع أو ينعدم للجميع.

أكبر سبب لعدم الاستقرار هو العنف، سواء من خلال الحروب الاستباقية أو الإرهاب . لقد وصلت البشرية لقاسم مشترك وهي نقطة مهمة ونعلم جميعا أن الحوار هو الطريق الوحيد لحل أي مشكلة.

بالنسبة للسياسيين المتشددين أو المتزمتين أو محترفي السياسة خارج الدولة، ليس في قاموسهم أي حوار، وفي وجدان البشرية نجد نفسنا في حاجة ماسة للحوار.

وقد انهالت الأسئلة حول موضوع واحد وهو، كيف يمكن في ضوء السماحة الفكرية والنوايا الطيبة أن يتم التقارب بين الشيعة والسنة، اعتبارا ان الاختلاف أغلبه تاريخي بينما المشاكل المعاصرة تجمع الاثنين ؟

وقد أشار الي أنه سوف يتوغل في هذا الموضوع باستفاضة في محاضرة الأزهر، لكنه أشار الي أن المذاهب والأديان والطوائف والملل لم تكن في يوم من الايام في حالة نزاع أو صراع بل كانت سببا للتكامل فيما بينها .وقال " تصوروا لو أن العالم بدون اختلافات لم يكن لدينا انجازات أو ازدهار، فالنزاعات والحروب كانت أسبابها دائما اقتصادية وسياسية.

للأسف الشديد كان السياسيون وأصحاب المصالح يستغلون الدين والفن من أجل مصالحهم الخاصة، فالاختلاف سنة كونية طبيعية، لكن يقع اللوم على من يستغل هذه الاختلافات لمصالحهم الخاصة. أعتقد أن هذه الاختلافات التي تتفاقم، أسبابها سياسية وتعود إلى المصالح. أعتقد أن وراء كل هذه النزاعات وراءها في الواقع قوى تريد أن تنهب ثرواتنا وتأخذها رخيصة. أن علماء الدين والمفكرين والمحللين يلعبون دورا بالغا في هذا المجال من خلال العمل على نشر نقاط التلاقي بدلا من التنازع.

مكتبة الاسكندرية

في مسرحية "حصان الدم"

جبار جودي يقتحم عالم شكسبير ويلاحق أطيافه

أمجد زهير عبد الحسين

يحتوي العرض المسرحي الصوري على تحشدات وشحنات صوتية وصورية مصدرها العميق من الكون ، من صور وأصوات يكون من مهمة الفنان الأساسية نقلها الى العمل المسرحي بصيغة صورية غير عادية. هذا البرنامج الأستعادي للمخرج هو ما يجعلنا نسوغ له أحتمالات تدفق وتشابك العناصر التي يصعب لقاؤها ، وهكذا تتحول الدراما الى مرآة أستعادية ، الى مرآة كونية مصغرة،وسنقول بطريقة أخرى أن الدراما تتحول الى كرة الساحر المدورة التي يرى فيها ما يريد.

ومن هنا تنطلق القراءات والمداخلات الأخراجية المعاصرة في قراءة النصوص الكلاسيكية.

من ميزات النص الشكسبيري أنه نص لكل العصور أنطلاقاً من طبقاته الفلسفية التي تشكلها منظومة الرموز والعلامات ذات التقنيات التشكيلية والدرامية العالية والمفتوحة لقراءات ورؤى متعددة ومتداخلة ، وبما أن مسرحية (مكبث) هي مسرحية الحلم والحقيقة فأن المسافة التي تفصل الحلم عن الحقيقة هي مسافة ضبابية طيفية تهيم فيها شخصيات تلك المسرحية (مكبث ، الليدي مكبث ، بانكو، مكدف ، دنكن) وتتسربل بطموحها الملطخ بتخبطها المستمر بأعمال وأخطاء قدرية فادحة وخطوط ماورائية متشابكة ومتوازية مع خط المسرحية الدرامي المتصاعد ، وأنطلاقاً من هذا المعنى الماورائي والروحاني أنطلقت رؤية المخرج (جبار جودي)

لتصور تلك العوالم الطيفية التي تحركها قوى لا مرئية وكأن (المخرج) حاور أرواح النص القادمة من عالم آخر عالم شكسبيري يضج بصراخ أطياف بشرية معذبة تحركها أحلامها وتطلعاتها التي دفنت في أراض قاحلة بعد أن سحقها بحوافره المسننة (حصان الدم) بجموحه الفوضوي الخارج عن المعقول والمقروء ، وهنا جاءت المعادلة الموضوعية الفلسفية المعاصرة في قراءت النص الشكسبيري (مكبث) والتي تساوي(مكبث=حصان الدم=مسيرة الدم المعاصرة) . بكل فوضويتها وجموحها

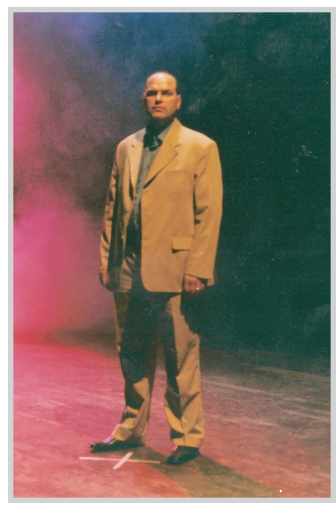

القاني ، فهذه المعادلة الموضحة شكلتها أرقام وحسابات زمنية دقيقة في حساب وقت القطع للمشهد وسيطرة الأضاءة الطيفية التي هي من أصعب التقنيات ، وذلك تجسد من خلال الأنكسارات الحادة في الجو العام والأنتقالات السريعة للقطات ، وكذلك التجول المشهدي الذي شغل كل أجزاء المسرح علماً أنه لم تتوفر للعرض أجهزة أضاءة ليزرية وهذا الذي أدهشنا فالتوقع كان خلاف ذلك من خلال تداخل وتحاور اللونين الأحمر والأزرق الطيفي بحرفة ومهارة عاليتين، وكذلك المؤثر الصوتي المتنوع والمتقدم رقمياً والذي أشتبك مع الأضاءة المقطعية التي رسمت تشكيلات العرض الدرامية بدقة متناهية

وبرشاقة وسرعة انتقالية غير مسبوقة ، وهنا تجدر الأشاره الى شاشة العرض السينمائية التي رأينا من خلالها المسؤول يتحدث فجاءت تلك الشاشة منسجمة مع تقنية العرض العامة وهي (تقنية الرؤيا الطيفية) فتحركت الشاشة كشبح بمساندة المؤثر الصوتي فوق الأطياف الأخرى الهائمة في دائرة الصراع المركزية وهي الأرض المسكونة بالقدر الغامض وهو فضاء دخاني ضبابي حامت داخلة وحوله الشخصيات وهو فضاء معادل لافتراض النص الأصلي وهو(القصر).

إن المخرج جبار جودي ومن خلال عرضه التقني الفخم أثبت أن الإضاءة هي العنصر السينوغرافي الأول في عملية العرض المسرحي بالإضافة الى العناصر السينوغرافية الأخرى من ممثل وديكور وموسيقى ، فأتت تقنية الأضاءه كالمسكة اللحنية الأساس في المعزوفة الرئيسية (العرض) ، أو هي القاسم الرقمي المشترك الذي تصطف على أساسه المصفوفة الرقمية التي يسلسلها المخرج في معادلة العرض الرئيسية .

وأذا كان المخرج يصر على أولوية الأخراج في التجربة ، فأننا لا نستطيع أن نتصورها إلا تركيبة ابداعية تساوى فيها طرفا المعادلة :المخرج والممثل. ولعل من كان قريباً الى التمارين الشاقة التي استغرقت أكثر من شهرين ، يتفق وهذه الحقيقة ، بل يعرف مدى مساهمة الممثلين في صياغة البنى التشكيلية وملامح الرؤية الإخراجية للعديد من اللوحات . وهي مسألة جد مشروعه إذا ما سلّمنا إنه أبداع جماعي قبل كل شيء أنطلاقاً من ما بذله الممثلون من طاقة أبداعية جديرة بالذكر ، وهم : محمد هاشم(مكبث)،فرح طه(الليدي مكبث)،طه ياسين(دنكن)،رياض شهيد (مكدف)،حيدر منعثر (بانكو)،ودراماتورك العرض(د. يوسف رشيد).

أما الأرواح الساندة للعرض فهي : في الأنشاء الصوري: أحمد محمد صالح ، ليث هادي، جاسم وحيد،أسعد مشاي،علي السوداني،محمد فؤاد،حسين علاوي،عباس قاسم،حميد لطيف.

وفي الأنشاء الصوتي: صالح ياسر ، عقيل هاشم ، مهدي عباس.

وينبغي أن نفرد لبطلي المسرحية (محمد هاشم وفرح طه) مكانة خاصة في أحتفائنا النقدي بهؤلاء الفنانين الشباب ، فلقد وضعهما جبار جودي أمام أمتحان عسير وفجر في الوقت ذاته خزينهما الأبداعي من خلال دورين صعبين مركبين يتطلبان رشاقة ولياقة بدنية عالية وأستيعاباً غير عادي لأسرار الفعل الداخلي والخارجي فضلا عن أمتلاك الموهبة لتجسيدها على نحو مقنع وجذاب ، حيث أنهما أستطاعا تجاوز الأمتحان بكفاءة ابداعية لا تشوبها شائبة ونأمل أن نراهما مستقبلاً في مستوى أعلى من الأداء المبدع ، على أن لا يتهاونا في بحثهما المستمر عن سبل العطاء الأفضل والسعي المتواصل لتطوير أدواتهما الفنية.

لقد أثبت طاقم مسرحية (حصان الدم) إنهم مسافة جمالية إجرائية انطلقت من بنية النص الأرضية الى فضاء المعاصرة والحداثة مثبتين بذلك شعار خصوصية عملهم المسرحي على أعمق نقطه في فضاء الأبداع العراقي المرصع بالنجوم .

دعوا حرابكم جانبا

الدولة والذاكرة الثقافية

علي شبيب ورد

١/الثقافة بوصفها حاجة معرفية إنسانية تتواصل وتتطور مع تناسل الجنس البشري.

لذا فهي تمثّل الذاكرة الحية للشعوب. وثقافة أيّ شعب لا تموت ولا تستنسخ مهما تواجه من محاولات محوٍ وتشويه. بل على العكس من ذلك تستعيد عافيتها حتما، لتولد من جديد - كما العنقاء - بعد كل متغير عاصف بما هو مدني أو حضاري وفي كل زمان ومكان. وما حدث في بلادنا من متغيرات جديدة، دعانا لقراءة المستقبل الثقافي الذي يعتمد على طبيعة العلاقة بين المثقف والدولة، باعتبار أن ما يجري الآن من علاقات فوضى مرعبة سيفضي حتماً إلى علاقات دستورية آمنة. أن العمل من أجل مستقبل ثقافي نيّر، يستدعي قراءة جديدة لطبيعة العلاقة بين المؤسسات الثقافية للدولة وبين المثقفين والمشتغلين في القطاع الثقافي، وهذه العلاقة تتطلب أدوارا ومهمّات عاجلة وآجلة لكلا طرفيها الفاعلين-الدولة والمثقف- .

٢/ وحري بالمثقفين الغيارى الأكفاء توحيد كلمتهم ليقولوا للمتلاعبين بمقدرات شعبنا وتطلعات مثقفيه: كفاكم تصرفات لا مسؤولة. دعونا نمر لنعيد بناء مؤسساتنا الثقافية بقلوب عامرة بالمحبة لا بالضغينة والحقد والعنف. نودّ أن نلتقي على مائدة واحدة ونتحاور بالكلمة الطيبة لا بالفتنة والقتل. دعوا حرابكم وبنادقكم جانبا، كي نتعانق على محبة الله والمعرفة والوطن، تعالوا معنا لنقرأ ونتدارس مواد وفقرات الدستور العراقي الجديد، لا مواد وفقرات الخطب الرنانة ووصايا وأفكار هواة انهار الدم. لنعمل معا من اجل إثارة الوعي بالوطنية الجديدة ونشر ثقافة جديدة هي ثقافة حماية الدستور والمؤسسات الدستورية. ولنتكاشف غير هيابين من بعضنا. كفانا تلقيا سلبيا من الما فوق، ولنكن فاعلين ومؤثرين في صنع القرارات التي تخدم مصالحنا جميعا، لا مصالح جماعة دون أخرى. فديمقراطية المجتمع المدني لا تأتي بالتمني والسحر، بل تتطلب منا تضحيات من نوع آخر وجديد. تضحيات تقوم على مبدأ إنساني عام، هو احترام الآخر والإصغاء لرأيه، حتى لو كان على خطأ. كفانا قمعا لبعضنا ولنتفق على ما هو عام وإيجابي ومفيد، بدلاً من تبني خطابات تعبى ونصوص مغلقة جافة، لمصادرة حرية الآخرين ودحض آرائهم، والاعتداء على الناس وعلى ممتلكاتهم دون واعز من ضمير أو عرف أو دين. ولنتوحد على أساس اجتماعي تعاوني إنساني عام لإيصال صوت العراق النبيل الهادئ والحضاري، بعيدا عن المتاريس ومفازات التناحر والصراخ والزعيق. وليكن صوتنا كمثقفين هادئا وجميلا كجمال أهوارنا وجبالنا وآثارنا العظيمة، ولنتصرف جميعاً بمعرفة ودراية وحكمة بدل الخبل والجهل والتخلف. ولننشر بذور الخير والنماء بدل الفتن والضغائن والاحتراب. ولنرفع باقات الورد بدل البنادق، ولنعمل بروية وتأن لاستشراف آفاق المستقبل العراقي المشرق، ولنشتغل بجد ومسؤولية لتحويل العراق إلى فردوس محبة، لا إلى صحراء ضغينة وخصام ودم.

٣ / رغم أن مهمة الدولة في تطوير العمل الثقافي عامة والإبداعي خاصة، تتطلّب رسماً جاداً لسياسة ثقافية طويلة الأمد في البلاد، وهذا ما يستدعي تشريع قوانين مستمدة من دستور وطني ذي بعد إنساني، إلاّ أن ذلك لا يحول دون أن تلعب دورها الحاسم في رعاية عنقاء الخراب الثقافي الشامل، كيما تشرع للانطلاق صوب آفاق المستقبل المشرق، من خلال وضع برامج وخطط ثقافية مرحلية تسهم في دحض ثقافة العنف والهدم، وتدعو إلى ثقافة السلام والبناء. وهذه الخطط يجب أن تنطلق من جوهر الفلسفة الإنسانية الذي يخدم حتما الإنسان العراقي مدنيا وحضاريا، وصولا لاستيعاب وممارسة القيم الوطنية والإنسانية التي تتطلبها مرحلة التحول الديمقراطي- رغم ضبابيّتها ودمويّتها- كالحرية وحقوق الإنسان والتعددية واستيعاب الآخر وغيرها من مفاهيم. وذلك من خلال جملة مهام منها:

❖الإفادة من التحولات المدنية والحضارية العالمية في تطوير عمل المؤسسات الثقافية والإعلامية للدولة.

❖ تحسين علاقات مؤسسات الدولة الثقافية والإعلامية مع الأنشطة الثقافية للمجتمع.

❖ إعادة تأهيل العاملين في تلك المؤسسات بدورات داخل وخارج الوطن.

❖ النظر في إدارة هذه المؤسسات على أساس النزاهة والكفاءة والولاء للوطن لا غير.

❖ فتح قنوات اتصال ثقافي بين الوزارات كافة، لرفع كفاءة أداء الأنشطة الثقافية.

❖ توطيد علاقة جديدة بين قطاعي الثقافة والإعلام وعلى أساس مهني وديموقراطي.

❖ مطالبة مجلس الوزراء بإعادة النظر في الميزانية البائسة لوزارة الثقافة.

❖ دعم ورعاية الدولة للأنشطة الثقافية لتجمعات المجتمع المدني الفنية والأدبية.

❖ التعاون بين الدولة والتجمعات الثقافية لإعادة قراءة التاريخ العراقي وفي شتى الميادين، وبحيادية تامة، ومن دون أيّ تخندقٍ ديني أو طائفي أو عرقي أو سياسي.

❖ الاهتمام بالتراث والفلكلور والسياحة والمتاحف والنصب وكل ما يعيد إشراقنا المعرفي.

❖ التقليل من هيمنة الثقافة المركزية /سلطة العاصمة وذلك بدعم المهرجانات الثقافية في المدن الحضارية المهمة، لخلق بؤر ثقافية متنوّعة، تحقيقاً للتنافس الإبداعي. وهنا أدعو إلى دعم مشروع(مهرجان أور الإبداعي)الذي سبق أن دعونا اليه، ونجدد الدعوة له الآن، ليكون واحة إبداعية سومرية تعبق بالمعرفة مع واحات الإبداع الأخر في عراقٍ جديد فعلا.

❖ توفير ما يمكن من مناخات ديموقراطية لإنتاج وتسويق المنجز الإبداعي.

❖ الإفادة من تجارب دول المنطقة في دعم المشاريع الثقافية مثل/ مجالس الثقافة والفنون/

البيوت الثقافية/ النوادي الثقافية وغيرها وتحويلها إلى واحات إبداعية لا إسقاط فرض.

❖ دعم ورعاية الأدباء والكتاب والفنانين من خلال الرواتب والمنح والسكن الملائم والدراسة والسفر والتفرغ الإبداعي وغيرها.

❖المساهمة في تعضيد ونشر المطبوع الثقافي/ مجلات/ كتب، بعدالة وبدون رقيب شمولي.

❖إيلاء الاهتمام الحقيقي بثقافة المحافظات ومبدعيها الذين تضرّروا كثيرا من هيمنة ثقافة المركز، ومنحهم حقوقهم أسوة بأقرانهم القريبين من المؤسسات الثقافية المركزية للدولة.

❖ العمل على تشريع قوانين تكفل حقوق المبدعين الاجتماعية والإنتاجية.

❖ دعم عمل وأنشطة تجمعات المجتمع المدني الثقافية والإعلامية/ اتحادات/ نقابات/ جمعيات/ روابط، ومساعدتها في الحفاظ على مهنيتها واستقلاليتها ونزاهة انتخاباتها بعيدا عن تدخل الحكومة والأحزاب، وسن القوانين التي تنظم آليات تشكيلها وإقرار أنظمتها الداخلية وتكفل مشروعية سعيها للدفاع عن حقوق منتسبيها في العيش الكريم والإبداع المتواصل.

٤/ ما دعانا للكتابة، هو انحسار دور الدولة في المجال الثقافي، لأسباب سياسية وأمنية ومالية وإدارية. وبروز نشاط ملحوظ ومؤثّر لمؤسسات ثقافية أخرى مثل (مؤسسة المدى الثقافية) في أنشطتها المتميزة ومهرجاناتها الأدبية والفنية المتواصلة ودعمها المادي والمعنوي للأدباء والفنانين. بينما الوزارة مصابة بالشلل الطائفي، ودورها ضعيف في دعم أنشطة أخرى، مثل /ملتقى السياب/ مهرجان المربد/ مهرجان المتنبي/ مهرجان الحبوبي/ مهرجان الجواهري وغيرها إضافة إلى غياب دورها العربي والعالمي. وفي الوقت الذي نشد أيدينا على الجهود الجبارة لهذه المؤسسات الثقافية، ندعو الدولة ممثلة بوزارة الثقافة، لدعم أيّ جهدٍ ثقافي واعتباره واحة نيّرة يبدد منْ ضبابية المرحلة. وأن تعيد النظر في سياساتها المقبلة على أساس تعدد مواطن البوح الثقافي، لأن هذا يغني المركز وليس يضعفه كما يرى البعض. وأن تكون راعية عادلة للنشاط الإبداعي في كل مكان لا داحضة للتنوع الثقافي، وهذا لن يتم إلاّ بتوفير أسباب خصبة ومناخات تلاقحه لإنعاش الذاكرة الإنسانية للثقافة العراقية.